العشائر العربية في شرق سوريا
ديناميات النفوذ والسيطرة

أسامة شيخ علي*

ملخص:تؤدّي العشائر دورًا مهمًّا في تحديد ديناميات النفوذ والسيطرة في شرق سوريا، وقد زادت قوة العشائر بشكل ملحوظ مع اندلاع الثورة عام 2011 وخروج مناطق واسعة من سيطرة نظام الأسد. وساعدت العشائر بشكل فعال في ضبط الديناميات الاجتماعية للسيطرة على الفوضى الناجمة عن غياب السلطة المركزية. يتناول هذا البحث المجتمع العشائري في شرق سوريا من حيث توزيعهم الديمغرافي، واتجاهات الولاء، وعلاقاتهم مع السلطات المتعاقبة منذ حكم البعث الأول حتى سيطرة «قوات سوريا الديمقراطية» على دير الزور عام 2019. بالإضافة إلى تحليل أسباب الصراع الأخير ودوافعه بين العشائر المتنفذة في دير الزور وقوات سوريا الديمقراطية عام 2023.

الكلمات المفتاحية : شرق سوريا، العشائر العربية، الثورة السورية، المجتمع العشائري.

*جامعة ابن خلدون، تركيا.

Arab Tribes in Eastern Syria
Dynamics of Influence and Control

OSAMA ŞEYHALİ*

ORCID NO : 0000-0003-1289-1376

ABSTRACT: *The comprehensive attacks carried out by Hamas against Israel on October 7, 2023 led to a major shift in the Israeli-Palestinian problem. The issue of Palestine once again appeared on the global agenda - and this was the first time that "Israel" was exposed to this scale of damage in its history. Likewise, we saw that the reckless unilateral policies of "Israel" and its supporters did not provide it with security. On the other hand, the influence of Hamas and the Palestinian resistance and its deterrent power appeared. Likewise, the October 7 attacks left serious impacts on the regional power equation. The normalization process in the region has largely ended. Israel retreated into isolation in the region once again due to its excessive use of force, mass murders and war crimes.*

***Keywords**: Eastern Syria, Arab clans, Syrian revolution, tribal society.*

*İbn Haldun University, Türkiye.

رؤية تركية
2023-(1/13)
63 - 78

DOI:10.36360/1560-012-004-005

مقدمة

تُعَدّ القبائل والعشائر[1]، التي تقوم على قرابة الدم ووجود رابطة أبوية مشتركة تجمع أبناءها- عاملاً حاسمًا في تنظيم الشبكات الاجتماعية في شرق سوريا. وبحسب ابن خلدون، فإن أسلوب الحياة في المجتمعات القبلية يتميز بالتضامن الاجتماعي والعصبية القوية، حيث يسود فيها القانون «العُرف» القبلي، فلا مجال للتردد في الدفاع عن القبيلة وأفرادها ضد أي عدوان خارجي[2]. بالإضافة إلى ذلك، هناك نوع من اللامبالاة تجاه الدولة، وتتميز العلاقات بين القبلية والسلطة بدرجة عالية من البراغماتية والواقعية، حيث إن أولوية زعماء القبائل هي ضمان مصالحهم الشخصية ومصالح القبيلة وحماية أبنائها. زادت قوة العشائر وتأثيرها بشكل كبير مع اندلاع الثورة الشعبية في عام 2011، حيث غابت سلطة الدولة عن أجزاء واسعة من سوريا. وقد أسهمت العشائر بنشاط في تشكيل الديناميات الاجتماعية من خلال فرض آليات ضغط اجتماعي للسيطرة على الفوضى الناجمة عن غياب السلطة المركزية وتحقيق نوع من العدالة الاجتماعية استنادًا إلى الأعراف والعادات العشائرية.

أدركت سلطات الأمر الواقع المتعاقبة في هذه المنطقة أهمية المكون العشائري وقوته في دعم الاستقرار وتأمين النفوذ والسيطرة. إلا أنه غالبًا ما يُساء فهم البنية العشائرية عندما يجري التعامل معها على أنها كيان سياسي. فبينما تبدو العشيرة على أنها كيان اجتماعي متماسك وعامل أساسي في الهيكل الاجتماعي، فإنه من الصعب تأطير العشيرة سياسيًّا؛ بسبب عاملين رئيسين، الأول هو براغماتية العشائر في التعامل مع التغيير المتسارع لسلطات الأمر الواقع في سوريا بعد عام 2011، والثاني يعود إلى الولاءات المتعددة داخل العشيرة نفسها، وهذا يؤثر في عملية صناعة القرار داخل العشيرة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة المجتمع العشائري في شرق سوريا من حيث التوزيع الديمغرافي والعوامل المؤثرة في علاقاته مع سلطات الأمر الواقع المتعاقبة في المنطقة بعد الانتفاضة الشعبية المستمرة منذ عام 2011 حتى النزاع المسلح مؤخرًا بين العشائر وقوات سوريا الديمقراطية (قسد) في دير الزور عام 2023، بالإضافة إلى خلاصات عامة عن العشائر وأدوارها المستقبلية في شرق سوريا.

التوزع الديمغرافي للعشائر العربية في شرق سوريا

تُعَدّ العشيرة أحد أهم الحوامل الاجتماعية الأساسية للمجتمعات المحلية في شمال وشرق سوريا، فالعشائرية هي السمة الأبرز لهذه المجتمعات، سواء أكانت كردية أم

عربية. وفي حين تبدو هذه السمة أقل وضوحًا في المجتمعات الكردية، وخاصة في مراكز المدن، نجدها أكثر وضوحًا وانتشارًا في المجتمعات العربية في منطقتي الجزيرة والفرات، في محافظات دير الزور والرقة والحسكة.

أبرز العشائر العربية في شرق سوريا

العكيدات (العقيدات)

تُعَدّ العكيدات من أكبر و العشائر وأهمها وأكثرها نفوذًا في شرق سوريا. يتركز انتشار أبناء قبيلة العكيدات بشكل خاص في دير الزور على ضفتي نهر الفرات. وهي تتكون من عدة عشائر رئيسة، منها: البوجمال، البوجامل، والشعيطات (الزامل). إضافة إلى عشائر فرعية، مثل البكير، وشويط، وبوخابور، وقرعان، وبوحسن، وبورحمة، والدميم، والحسون، والبومريح، والمشاهدة. يتركز نفوذ قبيلة العكيدات وانتشارها في ريف دير الزور الشرقي، على ضفتي النهر وصولاً إلى مدينة البوكمال على الحدود العراقية، وكذلك في الريف الشمالي من البصيرة إلى الصوَر شمال دير الزور. كما يمتد انتشار قبيلة العكيدات عبر الجغرافيا السورية إلى أرياف حمص وحلب ودمشق، وإلى الجمهورية العراقية ودول عربية أخرى[3].

البكّارة (البقّارة)

تُعَدّ البكّارة القبيلة الكبرى الثانية في دير الزور، وإحدى كبرى قبائل سوريا. وهي تتكون من عدد من العشائر الفرعية، مثل: العابد، والعبيد، والبوسلطان، وعبيدات، والمشهور، وبومصعب، وبومعيش، وحمد عبيد، وبوعرب، وبوبردان، وغيرها. تنتشر قبيلة البكارة في ريف دير الزور الغربي، وبشكل رئيس في ناحية الكسرة ومدينة دير الزور[4]. وتنتشر أيضًا في مدينة الحسكة، وفي ريف منطقة جبل عبد العزيز، وفي محافظات سوريا أخرى. وهي تنتشر في بعض الدول العربية أيضًا، كالأردن والعراق.

قبيلة شمّر

تنتشر قبيلة شمّر بشكل واسع في المناطق السورية الشمالية المحاذية للحدود العراقية، وبشكل خاص في مدينة اليعربية (تل كوجر) وضواحيها، وفي منطقة جزعة. ويقع قصر زعيم القبيلة حميدي دهّام الجربا في قرية تل علو قرب مدينة رميلان النفطية شمال شرقي سوريا. وتُعَدّ شمر أحدى أهم العشائر التي أدّت أدوارًا سياسية في مختلف المراحل التاريخية، وهي تحافظ على علاقات قوية وتحالفات تاريخية مع الكرد في كل

من سوريا والعراق. وتُعَدّ كذلك من آخر القبائل التي انتقلت من البداوة إلى الاستقرار والزراعة. وهي لا تزال متمسكة بالعادات البدوية، ولها انتشار واسع في العراق ودول الخليج العربي[5].

قبيلة الجبور

تنتشر قبيلة الجبور بشكل واسع في منطقة تلّ براك التابعة لمحافظة الحسكة، وفي عدة أحياء من مدينة الحسكة. يتزايد نفوذ الجبور في الجنوب، إذ تُعَدّ مدينة الشدادي من أهم مراكز انتشارها. ويتزعم قبيلة الجبور آل ملحم، الذين ينتمي إليهم آل المسلط. الجبور من كبرى عشائر محافظة الحسكة من حيث عدد أفرادها ومساحة انتشارها. تنحدر منها عدة عشائر، منها: البوخطاب، والبومهنا، والمحاسن، والصبح، والهزيم، والمجادم، والعلي، والواوي، وعشيرة الشويخ. يتزعم قبيلة الجبور حاليًّا الشيخ نواف بن عبد العزيز المسلط.

قبيلة طيّ

هي إحدى القبائل العربية الكبيرة التي تعيش في مدينة القامشلي ومحيطها، في أقصى شمال شرق سوريا. يقع معقل القبيلة في قرية جرمز في منطقة القامشلي، وزعيمها هو محمد عبد الرزاق العساف الطائي. تتكون طي من تحالف عدة قبائل، هي: العساف، والحريث، والجوالة، والغنامة، والمعامرة، واليسار، والبوعاصي، وبنو سبعة، والراشد، وحرب. يتميز حلف طي بأنه يستند إلى وثيقة مكتوبة تسمى «مضبطة طيّ»، وهي بمثابة مواد قانونية عرفية قائمة على العادات القبلية والقوانين العشائرية، يلتزم بها أفراد القبيلة في تسوية نزاعاتهم، وتكون مرجعًا أحيانًا لحل النزعات مع العشائر الأخرى[6].

العشائر وحكم الأسد وحزب البعث

بدأت العشائر العربية بالاستقرار في المنطقة على شكل مجتمعات زراعية على ضفتَي نهر الفرات في القرن التاسع عشر، وبخاصة في الفترة من 1839 إلى 1876م خلال فترة التنظيمات العثمانية الثانية.[7]

أسهمت عدة عوامل في جعل المنطقة في بؤرة اهتمام السلطات السياسية في دمشق، منها: موقع المنطقة التي تقطنها العشائر الواقعة على الحدود بين تركيا والعراق، وامتداد العشائر العابر للحدود مع الجانب العراقي، والأهمية الاقتصادية المتزايدة لشمال وشرق سوريا، خصوصًا مع اكتشاف ثروات كبيرة من النفط والغاز بالتزامن مع انتهاء الانتداب الفرنسي وإعلان الاستقلال الوطني.

وتأرجحت العلاقة بين العشائر والسلطات السياسية المتعاقبة بين التوافق والتوتر لفترات تاريخية مختلفة. إلا أنه يمكن القول: إن العلاقة بين الطرفين اتسمت بالمنفعة المتبادلة، قبل أن يبدأ حزب البعث باستهداف العشائر والتضيق عليها واعتبارها ظاهرة رجعية لا تناسب «المجتمع السوري التقدمي الاشتراكي» الذي يتطلع إليه الحزب الحاكم.

> عدّ حزب البعث بفكره القومي العروبي الاشتراكي العشائرية إحدى الظواهر الرجعية في المجتمع السوري وإحدى أدوات التسلط على أبناء الريف والفلاحين الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للحزب

ويمكن تقسيم تجربة حزب البعث في التعاطي مع العشائرية –وفقًا لحنا بطاطو– إلى عدة مراحل، أهمها مرحلة حكم البعث قبل وصول حافظ الأسد إلى السلطة، ومرحلة حكم حافظ الأسد.

حزب البعث بفكره القومي العروبي الاشتراكي، عدّ العشائرية إحدى الظواهر الرجعية في المجتمع السوري، وإحدى أدوات التسلط على أبناء الريف والفلاحين الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للحزب؛ لذا حاول حزب البعث التقليل من نفوذ زعماء العشائر الذين كانوا في الوقت نفسه ملاكًا لمعظم الأراضي الزراعية خلال تلك الحقبة من التاريخ السوري.

وعليه شدّد حزب البعث في تطبيق قانون الإصلاح الزراعي رقم 161 لسنة 1958 الذي أصدره جمال عبد الناصر بصفته رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة، الذي صادر بموجبه معظم الأراضي الزراعية من الملّاك ووزعها على الفلاحين.

كما صادر حزب البعث بدوره المزيد من الأراضي من زعماء العشائر (الملّاك الفعليين للأراضي الزراعية)، وخفض سقف الملكية الخاصة، وقام بتسريع توزيع الأراضي على الفلاحين.[8]

بعد الاستيلاء على السلطة، انتهج حافظ الأسد سياسة معتدلة تجاه زعماء العشائر، حيث رفع شعار ترسيخ «الوحدة الوطنية»، وعمل على إضعاف النزعات المتطرفة داخل حزب البعث والمنظمات الشعبية التابعة له كـ (اتحاد الفلاحين، واتحاد العمال... إلخ) من خلال تعليق سياسة «النضال الاجتماعي»[9]. حيث أدت هذه الإجراءات إلى تخفيف حدة التوترات بين النخبة القديمة المتمثلة في زعماء العشائر والبرجوازية التقليدية من جهة والنخبة الحاكمة الجديدة من جهة أخرى. حيث أعاد حافظ الأسد لزعماء العشائر

العربية بعض المكانة الاجتماعية التي فقدوها خلال الفترة الأولى من حكم البعث، وخصّص لشيوخ العكيدات والبكارة وغيرهم من زعماء العشائر مقاعد دائمة في مجلس الشعب (البرلمان)، لكن بدا أن سياسة الأسد الجديدة في التعاطي مع العشائر كانت تهدف إلى استخدامها في محاربة أعداء جدد.

استفاد حافظ الأسد من تحسّن العلاقات مع زعماء العشائر التقليديين، فاستخدمهم في المواجهة العنيفة مع التيار الإسلامي (الإخوان المسلمين) في ثمانينيات القرن الماضي. كما اعتمد الأسد على العشائر في تنفيذ مشروع الحزام العربي الذي كان يهدف إلى تغيير الواقع الديمغرافي لمنطقة الجزيرة شمال شرقي سوريا، والتخفيف من الطابع الكردي للمنطقة من خلال توطين أبناء العشائر العربية، ومن بينها قبيلة «بو شعبان» الذين فقدوا جزءًا من أراضيهم نتيجة بناء سد الفرات في محافظة الرقة، في العديد من القرى ذات الغالبية الكردية في المناطق الشمالية من محافظتي الحسكة والرقة.[10]

في العقد الأخير من حكم الأسد الأب، لُوحِظ ارتفاع نسبة ممثلي العشائر العربية في البرلمان السوري إلى 10٪[11]. كما أصبح من الشائع أن يشغل أبناء القبائل، المتفاخرين بانتمائهم العشائري، مناصب وزارية ويتم تعيينهم في مناصب رفيعة في مختلف الوزارات. ومع تسلّم بشار الأسد السلطة من والده، حافظ على السياسة ذاتها من خلال شراء ولاء زعماء العشائر مقابل الامتيازات المادية والمناصب العامة. وبذلك أصبح أحد أبناء العشائر وهو فهد جاسم الفريج وزيرًا للدفاع، واحتفظ شيوخ العشائر بمقاعدهم في البرلمان، ومن بينهم زعيم قبيلة العكيدات الشيخ خليل عبود جدعان الهفل الذي احتفظ بمقعده في البرلمان السوري (مجلس الشعب) لستّ دورات متتالية؛ وكان قد أصبح عضوًا في المجلس بالتزكية ليجلس على مقعد والده الشيخ عبود جدعان الهفل الذي احتفظ بمقعده في البرلمان حتى وفاته عام 1987.[12]

العشائر والثورة السورية 2011

مع اتساع دائرة الاحتجاجات الشعبية ضد حكم الأسد في ربيع عام 2011 كانت بلدات وقرى محافظة دير الزور والمناطق الشرقية والشمالية من أوائل المناطق التي التحقت بالثورة. خصوصًا أن مدينة دير الزور شهدت إحدى المظاهرات السلمية الكبرى ضد النظام، إلا أن العنف المفرط لقوات الأسد في مواجهة هذه الاحتجاجات دفع العديد من أبناء العشائر للانضمام إلى فصائل الجيش السوري الحر بهدف حماية المدنيين وتحرير القرى والبلدات السوريا من سيطرة النظام.

ومثّلت هذه المرحلة بداية تفتت البنية العشائرية في المنطقة، إذ لم يكن من السهل على زعماء العشائر التنازل عن الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها للانضمام إلى الثورة. وكانت العشيرة الواحدة تنقسم أحيانًا بين عدة أطراف مؤيدة ومعارضة ومحايدة، وهو الحال الذي وصفه الشيخ حميدي دهام الجربا زعيم قبيلة شمر، فقال: «إن القوى المتصارعة قسّمت العرب رغمًا عنهم، وكل قوة متصارعة ألبستهم زيّها العسكري، وحاولت جذبهم ليقاتلوا تحت إمرتها ولينفذوا مخططاتها»[13]. ومع ذلك، فإن تطور مسار الاحتجاجات في دير الزور وخروج أجزاء كبيرة من البلاد من سيطرة النظام دفع العديد من هذه العشائر إلى اتخاذ القرار بالانضمام إلى الانتفاضة ضد حكم الأسد، أو التزام الحياد والانسحاب من المشهد العام.

وفي وقت لاحق، أصبحت العشائر أكثر انخراطًا في العمل المسلح، حيث اتخذت العديد من المجموعات العسكرية طابعًا عشائريًّا صريحًا، وتشكلت أيضًا فصائل كاملة من أبناء العشائر، مثل أحرار البكارة، وكتيبة الشهداء التي ينتمي أفرادها بشكل رئيس إلى قبيلة البكارة. وجيش الأمة من عشيرة الشعيطات أحد فروع العكيدات، ولواء

القادسية والأهواز من عشيرة البكير، ولواء القعقاع من قبيلة القرعان[14]. يعود ظهور الطابع العشائري بين الفصائل العسكرية في المنطقة الشرقية لسوريا إلى عدة أسباب، أهمها: طول أمد الحرب، وانتشار الفوضى بعد تحرير مناطق واسعة من سيطرة قوات النظام، وسيطرة الفصائل العسكرية المعارضة على حقول النفط والغاز، حيث حاولت العشائر تأمين حصتها من عائدات النفط الذي يجري استخراجه وتكريره بطريقة بدائية وبيعه في الأسواق المحلية والإقليمية أحيانًا. وبدأت القبائل بالسيطرة على آبار النفط عبر المجموعات المسلحة التابعة لها، وتوزيع الإيرادات على أفرادها وفق آليات معينة تعتمد على قوة العشيرة، وعدد أفرادها، ونفوذها.

العشائر تحت سيطرة جبهة النصرة وتنظيم داعش

لم يكن ظهور جبهة النصرة شرقي دير الزور مفاجئًا، إذ سبق للتيار السلفي الجهادي أن اكتسب موطئ قدم في المنطقة بعد الغزو الأميركي للعراق عام 2003م، حيث انضم العديد من أبناء العشائر إلى فصائل المقاومة العراقية؛ لدوافع دينية أو قومية أو عشائرية. وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق أصبحت دير الزور نقطة عبور للمقاتلين الجهاديين إلى العراق بموافقة وتسهيلات من أجهزة النظام السوري الأمنية، حيث أقامت بعض القرى دور ضيافة لزعماء العشائر والأمراء القادمين من العراق[15]. اختارت جبهة النصرة مدينة الشحيل في ريف دير الزور لتحتضن مقرها الرئيس وتكون نقطة انطلاقتها نحو باقي مدن دير الزور وبلداتها. ولِفهم أسباب انتشار جبهة النصرة واتساع سيطرتها في دير الزور لابد من الإشارة إلى مجموعة من العوامل، منها: سياسة جبهة النصرة المرنة في التعامل مع العشائر، التي اعتمدت بشكل أساسي على منح امتيازات اقتصادية للعشائر مقابل ضمان ولائها. كما اعتمدت النصرة على العنصر المحلي، حيث إن معظم مقاتليها كانوا من أبناء عشائر المنطقة نفسها. إضافة إلى ذلك، اختارت جبهة النصرة الريف الشرقي لدير الزور نقطة انطلاق لنشاطها في المنطقة كلّها، وبخاصة في مدينة الشحيل موطن عشيرة البوجامل (البوكامل) إحدى كبرى عشائر قبيلة العكيدات وأقواها وأكثرها تديناً، إذ عُرفت الشحيل منذ فترة طويلة بانتشار التيار السلفي بين أبنائها.

مع تصاعد الخلافات بين جبهة النصرة وتنظيم «داعش» وتحولها إلى صراع مسلح، استغل الأخير أخطاء جبهة النصرة واستياء بعض العشائر منها بسبب الخصومات العشائرية؛ لتوسيع نفوذه في المنطقة. على سبيل المثال، انضم العديد من سكان قرية ذيبان التي تضم عشائر البوجامل (البوكامل) والبوعز الدين- إلى تنظيم داعش بعد أن رفضت جبهة النصرة السماح لأهالي القرية بالحصول على حصة من إنتاج النفط في حقل العمر.[16]

من ناحية أخرى، هناك ثلاثة عوامل رئيسة وراء مبايعة بعض العشائر تنظيم داعش: أولاً، البراغماتية العالية التي يتمتع بها شيوخ العشائر الذين قرروا مبايعة التنظيم بعد أن سيطر على أجزاء واسعة من الأراضي السورية، ولم يكن من السهل المخاطرة بالتمرد ضده. ثانيًا، منح التنظيم المزايا الاقتصادية، والنفوذ، والحماية للعشائر التي قررت مبايعته. ثالثًا، الخوف من انتقام التنظيم الذي لم يتردد في استخدام القوة المفرطة ضد خصومه. ومن الأمثلة على ذلك مجزرة الشعيطات في بلدات بوحمام وغرانيج والكشكية بريف دير الزور الشرقي، التي ارتكبها مقاتلو تنظيم داعش بحق أبناء العشيرة في آب/ أغسطس 2014. حيث أسفرت المجزرة عن مقتل (1000 – 1500) شخص وتشريد الآلاف وتدمير مئات المنازل وحرقها.[17]

باختصار، اتّبع تنظيم داعش سياسة العصا والجزرة في تعامله مع العشائر في شرق سوريا. فمن جهة أبدى التنظيم مرونة كبيرة ومنح امتيازات اقتصادية للقبائل التي بايعته وأنشأ ما سمّاه بـ«ديوان العشائر» لإعطاء نوع الثقل الاجتماعي لزعماء العشائر الموالين له. ومن جهة أخرى، لم يتردد التنظيم في ارتكاب مجازر مروعة بحق العشائر المتمردة، مثل عشيرة الشعيطات.

العشائر وقوات سوريا الديمقراطية «قسد»

سعت قوات سوريا الديمقراطية، وهي تحالف من مجموعات مسلحة من مختلف المكونات العرقية والدينية تشكّل وحداتُ حماية الشعب عمودها الفقري، جرى إعلان تأسيسها في عام 2015م بدعم من التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة[18]- منذ إنشائها إلى كسب ولاء زعماء العشائر العربية؛ لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسة، هي: الاستفادة من خبرة رجال العشائر المتمرسين في القتال ضد داعش، وتخفيف الطابع القومي الكردي لقوات قسد من خلال ضم كتل عسكرية من مكونات مختلفة ولاسيما المكون العربي، وأخيرًا، محاولة تغطية ارتباطها مع حزب العمال الكردستاني «PKK»، المدرج على قوائم الإرهاب في العديد من الدول، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا والاتحاد الأوروبي، ومن ثَمّ تجنب الهجمات التركية.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، عملت قوات سوريا الديمقراطية على كسب ولاء العشائر العربية، حيث كانت البداية مع قبيلة شمر، التي تربطها علاقات متينة وتحالف تاريخي مع الكرد في العراق وسوريا، من خلال ضم المجموعات العسكرية التابعة للقبيلة إلى قوات سوريا الديمقراطية، وتعيين الزعيم العشائري الشيخ حميدي دهام الجربا حاكمًا مشتركًا لـ«مقاطعة الجزيرة» وفقًا للتقسم الإداري الجديد الذي اتبعته «الإدارة الذاتية».

وبعد القضاء على تنظيم داعش في آخر معاقله بدير الزور، حافظت قوات سوريا الديمقراطية على سياسة كسب الولاء في المنطقة عبر زيادة الاهتمام بزعماء العشائر، وعقد لقاءات منتظمة معهم، وتعيين أشخاص مقربين منهم في مناصب إدارية في المنطقة. علاوة على ذلك، حاولت قوات سوريا الديمقراطية ألا تتورط في عمليات انتقامية واسعة النطاق ضد سكان المنطقة، كما كان الحال مع تنظيم داعش ونظام الأسد.

وفي الوقت نفسه، حافظت قسد على المكانة الاجتماعية لشيوخ العشائر، ولاسيما من خلال قبول وساطتهم للإفراج عن العديد من أبناء المنطقة المسجونين بتهم تتعلق بالانتماء إلى تنظيم داعش. كما قامت قسد بتوسيع هامش عمل منظمات المجتمع المدني التي توفر الخدمات وفرص العمل لسكان المنطقة[19]. وعليه، بدت العلاقة بين العشائر وقوات سوريا الديمقراطية مستقرة نسبيًّا إلى حين تفجر الأوضاع مؤخرًا في آب/ أغسطس عام 2023م.

انتفاضة العشائر العربية ضد قوات سوريا الديمقراطية

لم تكن جميع القبائل العربية راضية عن حكم قوات سوريا الديمقراطية ونموذجها في الحكم؛ إذ كانت دير الزور تعاني الهشاشة الأمنية وغياب آليات واضحة لمحاسبة المتورطين في الانتهاكات، كما لم تهدأ الاحتجاجات الشعبية منذ سيطرة قسد على المنطقة بعد إعلان القضاء على تنظيم داعش في 2019م حيث كانت مطالب المحتجين تركز على الإفراج عن المعتقلين، وإيقاف عمليات الاعتقال التعسفية، والانتهاكات التي تطال المدنيين[20]. مع استمرار حكم قوات سوريا الديمقراطية شهدت الأعوام التالية العديد من المظاهرات والحركات الاحتجاجية المطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية ومحاربة الفساد المستشري في هياكل الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية، والتوقف عن سياسة تهميش ممثلي أهالي المنطقة وزعماء القبائل مقابل تمكين آخرين أقل كفاءة ومكانة اجتماعية[21]. إضافة إلى تعالي الأصوات المعارضة لتزايد نفوذ كوادر حزب العمال الكردستاني في المنطقة.

وفي نهاية آب/ أغسطس 2023 بدأ صراع مسلح بين عدة عشائر في دير الزور وقوات سوريا الديمقراطية. بدأت الاشتباكات على خلفية اعتقال أحمد الخبيل «أبو خولة» رئيس مجلس دير الزور العسكري، وعدد من قادة المجلس من قبل قوات سوريا الديمقراطية. بدأ مقاتلو مجلس دير الزور العسكري بالهجوم على مواقع قوات سوريا الديمقراطية شمال دير الزور، حيث معقل عشيرة البكير التي ينتمي إليها زعيم مجلس دير الزور العسكري المعتقل أحمد الخبيل[22]. وبعد خمسة أيام

من بدء القتال أعلن شيخ قبيلة العكيدات انضمام قبيلته إلى القتال ضد قوات سوريا الديمقراطية بعد رفضها وقف القتال وإطلاق سراح قادة مجلس دير الزور العسكري. وامتد القتال لاحقًا إلى كامل ريف دير الزور الشمالي والشرقي، فيما لم يشهد الريف الغربي، حيث تتمركز عشيرة البكارة اشتباكات مسلحة على نطاق واسع، في الوقت الذي بدأ شيخ البكارة عملية تفاوض بين قوات سوريا الديمقراطية والقبائل؛ لإنهاء الاشتباكات المسلحة. واستمرت تلك الاشتباكات قرابة عشرة أيام وانتهت بسيطرة قوات سوريا الديمقراطية على بلدة ذيبان معقل شيخ العكيدات إبراهيم الهفل الذي اختفى من مكان الحادث، بينما شنّ لاحقًا هجمات متفرقة على حواجز قوات سوريا الديمقراطية ومنشآت عسكرية في ريف دير الزور[23]. ولا بدَّ من الإشارة أن المشاركة في القتال ضد قوات قسد لم تقتصر على عشائر شرق الفرات، إذ أكدت العديد من التقارير تسلّل عناصر من الدفاع الوطني التابع لنظام الأسد والمليشيات المدعومة من إيران للمشاركة في المعارك، إذ تسعى هذه المليشيات منذ سنوات للعبور إلى شرق الفرات بهدف مواجهة الولايات المتحدة وقوات سوريا الديمقراطية والسيطرة على منابع النفط والغاز.[24]

جذور الصراع بين العشائر العربية وقوات سوريا الديمقراطية في دير الزور

لا شك أن دعم التحالف الدولي قوات سوريا الديمقراطية، وتأكيده استمرار الشراكة معها لتعزيز الاستقرار في المنطقة، ومنع عودة ظهور خلايا داعش- كلّ ذلك يشكل عاملاً حاسمًا في توقف النزاع مع العشائر. ورغم ذلك فإنّه إذا لم تُعالَج الأسباب الجذرية للصراع بشكل كاف، فقد ينفجر الوضع مرة أخرى عندما تكون الظروف مناسبة.

ورغم أن النزاع المسلح بدأ باعتقال رئيس مجلس دير الزور العسكري وإقالته وإقالة قيادة المجلس، إلا أن هناك أسبابًا أخرى لهذا الصراع. حيث لم يحظ القائد السابق لمجلس دير الزور العسكري «أبو خولة» بدعم كبير بين عشائر المنطقة، ووُجِّهت إليه العديد من التهم المتعلقة بالفساد واختلاس الأموال وقتل مدنيين وتعذيبهم، والتورط في عمليات تهريب المخدرات والنفط بين مناطق شرق الفرات ومناطق سيطرة قوات نظام الأسد على الجانب الآخر من الفرات. كما سبقت حادثة الاعتقال ملاسنات على وسائل التواصل الاجتماعي وتبادل الاتهامات بين أبي خولة وزعيم العكيدات الشيخ إبراهيم الهفل الذي قاد التمرد العشائري. وتعود جذور الصراع، بحسب أوساط عشائرية، إلى عدة أسباب من أهمها:

- **تراكم المظالم**: شهدت الفترة التي تلت سيطرة قوات قسد على المنطقة ارتكاب العديد من الانتهاكات، من بينها: الاعتقالات التعسفية، وانتشار الفساد والمحسوبية، وغياب الشفافية، إضافة إلى وقوع العديد من حوادث الاغتيال لأهالي المنطقة، من بينهم زعماء عشائر.

- **غياب التنمية**: تعرضت قرى دير الزور وبلداتها لدمار كبير نتيجة المعارك المستمرة التي شهدتها طيلة سنوات، كما لم تشهد مشروعات تنموية تخفف تبعات الحرب والدمار، إضافة إلى عدم وضع سياسات وآليات عادلة لتوزيع ثروات المنطقة الغنية بالنفط والغاز، وهذا كلّه ضاعف معاناة أبناء العشائر، وزاد من نقمتهم على السلطة الحاكمة.

- **غياب التمثيل الحقيقي**: تُعَدّ قضية التمثيل هاجسًا حقيقيًّا لزعماء العشائر، إذ يواجه نموذج الحكم المحلي القائم اتهامات تتعلق بضعف تمثيل أبناء المنطقة في

مؤسسات الإدارة والحكم، حيث يجري تهميش أبناء المنطقة ذوي الكفاءة والقدرة لمصلحة آخرين أكثر ولاءً للسلطة.

- **هشاشة هياكل الحكم المحلي**: إذ يتحكم كوادر حزب العمال الكردستاني PKK في مفاصل صناعة القرار، ولا يُسمَح بمشاركة فعلية للمكون العشائري، كما أن محاولات فرض المناهج الدراسية كان أحد أسباب اندلاع الاحتجاجات خلال فترات سابقة، حيث عدّت العشائر تلك المناهج «مؤدلجة»، ولا تتوافق مع الأعراف والعادات العشائرية.[25]

وتُعَدّ الانتفاضة العشائرية تعبيرًا عن حالة التوتر المتراكمة منذ الإعلان عن القضاء على تنظيم داعش عام 2019م وسيطرة قوات سوريا الديمقراطية على المنطقة، حتى تفجر الأوضاع في آب/ أغسطس 2023.

الخاتمة

- تُعَدّ العشائر حاملًا اجتماعيًّا مهمًّا ومؤثّرًا في شرق سوريا لا يمكن تجاهله، لذلك تحظى باهتمام كبير من مختلف الجهات الفاعلة.

- العشائر هي كيان اجتماعي تعرض لأزمات بنيوية و خسائر بشرية كبيرة خلال أكثر من ثلاثة عشر عامًا من الصراع، إلا أنه لا تزال لديها القدرة على إعادة إنتاج نفسها والتكيف مع الظروف المختلفة من أجل المحافظة على نفوذها الاجتماعي وتوسيعه.

- إن البراغماتية العالية التي يتمتع بها زعماء العشائر، وقدرتهم على التكيف مع الأزمات، وعلاقاتهم الجيدة مع مختلف الفاعلين- لا تعني أنهم موالون بشكل مطلق لسلطات الأمر الواقع المسيطرة على المنطقة.

- تفتقر العشائر إلى القدرة على أداء دور سياسي على المدى الطويل؛ حيث يعطي زعماء القبائل دائمًا الأولوية لمصالح القبيلة ومصالحهم الشخصية على الانتماءات السياسية. ومع ذلك، فإن هذا لا يشكل عائقًا أمام أبناء العشائر المثقفين وأولئك المنخرطين في السياسة من استثمار ميزات البيئة العشائرية، مثل القدرة العالية على الحشد والتعبئة، وقوة العصبية القبلية، والإرادة القوية للقتال لمصلحة مجتمعاتهم العشائرية، وضمان حقوقهم السياسية.

الهوامش والمراجع

1. يُشار عُرفًا إلى القبيلة بأنها مجموعة من العشائر غالبًا يجمعهم أصل مشترك أو تحالف عشائري، كما أنه يُتساهل أحيانًا في تسميتها، فيُطلَق على القبيلة اسم العشيرة أو العكس؛ في هذا البحث سيُعتمَد اسم العشيرة للدلالة على عشائر شرق سوريا وقبائلها.
2. IbnKhaldun. 1967. The Muqaddimah. Translated by Franz Rosenthal. P 170
3. «الحالة العشائرية في دير الزور: واقعها ومآلاتها»، دير الزور24، 2020، ص 9
4. المرجع نفسه، ص 11
5. مقابلة مع سامر الأحمد، باحث وصحفي سوري، 13.09.2023
6. المرجع السابق
7. محمود الحسين، «عشائر الجزيرة والفرات في سوريا... التحالفات الهشة من البعث إلى الثورة»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022، ص 1
8. حنا بطاطو، «فلاحو سوريا: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص 313
9. مناف الحمد، « القبيلة والسياسة في سورية: تحولات البنية وتنوع الدو: قبائل دير الزور أنموذجًا بعد الثورة السورية»، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2021، ص17
10. Haian Dukhan, Tribes and Tribalism in the Syrian Uprising, pp 5-6, https://2u.pw/AcwHWH6
11. Ibid, p 6
12. دير الزور24،»وفاة شيخ مشايخ العكيدات في مسقط رأسه بريف دير الزور»، 2016، https://2u.pw/1Ow0XAc
13. كمال شيخو، «عرب الحسكة... فرّقتهم الحرب وقسّمت مناطقهم»، الجزيرة، 2015، https://2u.pw/M6Le2Jo
14. مناف الحمد، «القبيلة والسياسة في سورية: تحولات البنية وتنوع الدو: قبائل دير الزور أنموذجًا بعد الثورة السورية»، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2021، ص ص 28-27
15. محمود الحسين، «عشائر الجزيرة والفرات في سوريا... التحالفات الهشة من البعث إلى الثورة»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022، ص 4

16. مناف الحمد، « القبيلة والسياسة في سورية: تحولات البنية وتنوع الدور: قبائل دير الزور أنموذجًا بعد الثورة السورية»، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2021، ص 32
17. عمر أبو ليلى، «مجزرة داعش المنسية في دير الزور»، معهد واشنطن، 2022، https://2u.pw/5oqnoGR
18. Syrian Democratic Forces and Asayish", European Union Agency For Asylum, September 2020, https://2u.pw/gypLV2B
19. مقابلة مع صحفي ميداني من دير الزور، 28/9/2023
20. المرصد السوري لحقوق الإنسان، «توتر تشهده بلدة الطيانة شرق دير الزور بعد اعتقال قسد متظاهرين خرجوا ضدها في إطار الاحتجاجات المتواصلة في مناطقها لليوم الخامس على التوالي»، أبريل 28, 2019، https://2u.pw/hC50UJC
21. عامر العبد الله ومحمد سالم، «نظرة على الاحتجاجات العشائرية الأخيرة ضد "قسد" في دير الزور وانعكاساتها على استقرار المنطقة»، مركز الحوار السوري، 18 يناير 2023، https://2u.pw/5JC2LZ9
22. مقابلة مع ناشط من دير الزور، 1/10/2023.
23. Mohammed Hassan, "Deir ez-Zor torn between Arab tribes' struggle for independence and the SDF's efforts to subdue them", September 2023, https://2u.pw/LdCZVzM
24. منهل باريش، «انتفاضة عشائرية كبيرة في شرق سوريا: هل ينجح شيوخ العشائر بتحويلها إلى نصر سياسي؟»، القدس العربي، سبتمبر 2023، https://2u.pw/Lvn17cz
25. « لأنها مؤدلجة وتجافي العادات... سكان دير الزور يرفضون مناهج تنظيم (قسد)»، سبوتنيك، 2020، https://2u.pw/AycmOR1

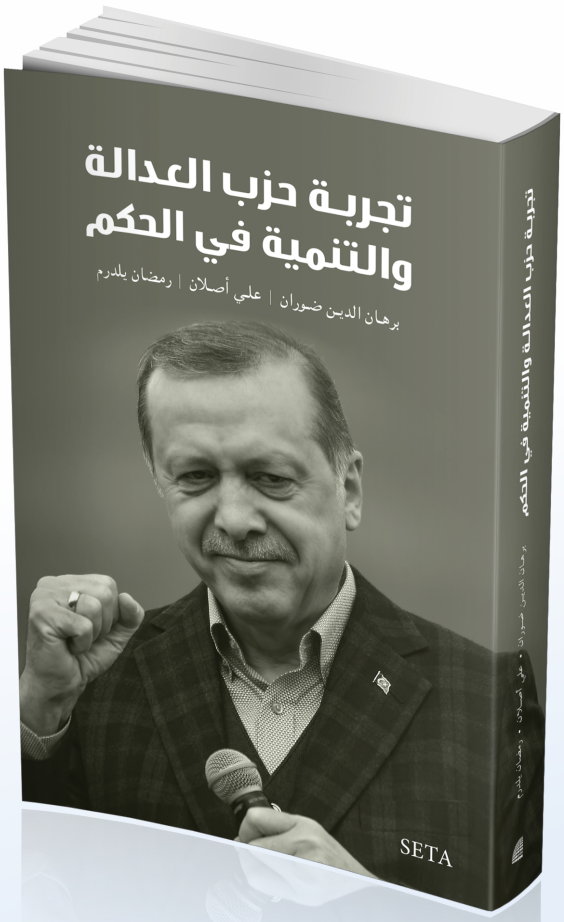

تجربة
حزب العدالة والتنمية في الحكم

برهان الدين ضوران
علي أصلان - رمضان يلدرم

setavakfi setav setavakfi
www.setav.org • kitap@setav.org
+90 (212) 395 11 00

SETA